﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ٧﴾ [الرّوم: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

ربط عدم علم النّاس، باقتصاره على ظاهر الحياة الدّنيا، دون الآخرة

لمّا جزمت الآية السّابقة بنصر الرّوم في بضع سنين، وأنّه وعد من الله بالحقّ، وهو لا يخلف وعده لعباده؛ لأنّ سنّته الجاريّة، قاضيّة بأن ينصر أقرب الفريقين إلى الحقّ والإيمان، فتكون لهم العاقبة، ولكنّ أكثر النّاس تنطمس بصائرهم عن إدراك ذلك، فلا يعلمون منه شيئًا، جاء بحيثيّات عدم العلم، فذكر أنّ أكثر النّاس يقتصر علمهم على أمور الدّنيا البحتة، كتدبير معايشهم الحاصلة، وتنمية متاجرهم العامرة، واستثمار مزارعهم اليانعة، ولكنّهم غافلون عن الجوهر واللّباب، فلا يعلمون من أمور الدّين، ولا ما ينفعهم في الآخرة بين يدي ربّ العالمين، وكأنّهم بلا عقول تهدي، ولا فهوم تنفع، ولا ضمائر تردع[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ظَٰهِرٗا﴾: (ظهر) أصْلٌ صَحيحٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قوَّةٍ وبُروزٍ[2]، والظَّهْر مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: خِلافُ البَطْن[3]، والظُّهْر: بَعْد الزّوال، ومِنْه صلاة الظُّهر، والظَهيرةُ: الهاجرة، والظَهيرُ: المُعين[4]، ظَهَرَ الشّيءُ: أصلُه أن يَحْصُل شيء على ظَهْرِ الأرضِ فلا يَخْفى، ثمّ صار مستعملًا في كُلّ بارز مُبْصَرٍ بالبَصَر والبَصيرة[5]، والظّهور: بدوُّ الشّيء المخفيّ، فهو ظهير وظاهر، وظَهَرَ الشَّيْءُ ظهورًا: تبيّن وبرز

(1) أسعد حومد، أيسر التّفاسير، ص: 3298 (بتصرّف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ظهر).
(3) ابن منظور، لِسان العرب: (ظهر).
(4) الجَوْهريّ، الصّحاح: (ظهر).
(5) الرّاغب، المفردات: (ظهر).

بعد الخفاء، وعَلى الْحائِط ونَحْوه: علاهُ، وعَلى الْأمر: اطَّلَع، وفي التَّنْزيل قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ﴾ [الكهف: 20][1]، والمُراد هُنا في الآية: يَعْلمون الأمور الدّنيويّة دون الأخرويّة.

2) ﴿غَٰفِلُونَ﴾: (غفل) يَدُلُّ أصْل الكلمة عَلَى تَرْك الشَّيْءِ سَهْوًا، ورُبَّما كانَ عَنْ عَمْدٍ، مِنْ ذَلِكَ: غَفَلْتُ عَنِ الشَّيْءِ غَفْلَةً وغُفولًا، وذَلِكَ إذا تَرَكْتَهُ ساهيًا، وأغْفَلْتُهُ، إذا تَرَكْتَهُ عَلَى ذِكْرٍ مِنْكَ لَهُ، ويَقولونَ لِكُلِّ ما لا مَعْلَمَ لَهُ: غُفْلٌ، كَأنَّهُ غُفِلَ عَنْهُ، فيَقولونَ: أرْضٌ غُفْلٌ: لا عَلَمَ بِها، وناقَةٌ غُفْلٌ: لا سِمَةَ عَلَيْها، ورَجُلٌ غُفْلٌ: لَمْ يُجَرِّبِ الْأُمورَ[2]، وغَفَلَ عن الشَّيءِ يَغْفُل غَفْلَةً وغُفولًا، وأغْفَلَه عنه غيره، الغَفْلَةُ: سَهْوٌ يَعْتري الإنسان مِن قلّة التّحفّظ والتّيقّظ[3]، وقد ذكرت المعاجم تعدية الفعل (غفل) ومشتقّاته بـ(عن) دون (من)، ولكن يصحّح الاستعمالَ المرفوض، الاستخدامُ القرآنيُّ الّذي راوح في آياته، بين (من) و(عن)، فقال في آية: ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: 15]، وفي آية أخرى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾[4].

المَعْنى الإجْماليُّ:

أكثرُ النّاسِ يَعلَمونَ ما يَتعلَّقُ بشُؤونِ دُنياهم

ذكر السّياق في هذه الآية، أنّ النّاس يَعْلَمونَ ظاهر حظوظهم من شؤون الدّنيا، ولا يعرفون جوهرها، ولا ما تؤول إليه من فناء وتلاشٍ واضمحلال، تعقبه الآخرة بما فيها من حساب وعقاب ومآل، ولكنّهم يعلمون العَرَضَ، ولا يعلمون الجوهر، وإنما يعلمون ما يتعلَّق بكسب المعاش وبناء الحضارة المادية، وهم عن الآخرة التي هي دار الحياة الحقيقية معرضون، لا يلتفتون إليها.

وترشدُ الآية الكريمةُ إلى بيان أنه لا فرق بين الجهل وعدم

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط: (ظهر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غفل).
(3) الرّاغب، المفردات: (غفل).
(4) أحمد مختار عمر، معجم الصّواب اللّغويّ: (غفل).

العلم، وبين وجود العلم السّطحيّ، الّذي لا يتجاوز مسائل الدّنيا وتحصيلها، والدّنيا ظاهر يعلمه الجهّال، مفاده التّمتّع بزخارف الحياة وبهرجها، وباطن لايعلمونه، وهو أنَّ الدّنيا مزرعة الآخرة، وأنّها قنطرة عبور للفوز والسّرور، أو جسر مرور للويل والثّبور، وأنّ النّجاة من هذه لتلك، إنّما تكون بالطّاعة والأعمال الصّالحة[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علاقة جملة ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا﴾ بِما قَبْلها:

عِـلْـمٌ مُـسـاوٍ للجهل، لا نفع فيه، ولا جدوى منه

وَقَعت جملة ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا﴾ استئنافيَّة، لبيان موجب جهلهم بِوَعْد اللّه[2]، أو بَدَل كُلٍّ مِن كُلٍّ، مِن قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، ونُكْتة هذا الإبدال الّذي وقع طباق سَلْب، بين قوله ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾، وقوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، الإشارةُ إلى أنَّه لا فرْق بين عَدِم العِلْم الّذي هو الجهل، وبين وجود العِلْم الّذي لا يتجاوز بَعْض ظاهر الدّنيا، فكأنَّ هذا العِلْم ليس بِعِلْم؛ لِعَدم نَفْعه بَلْ ضَرُّه أكبر من نفعه[3]، والضَّمير في ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ يعود على الكُفّار، أو كُلِّ مَن شَكَك في وعْد اللّه تعالى لعباده المؤمنين.

سِرُّ التَّعبير بمضارع العلم:

عِـلْـمٌ الـدُّنـيـا القاصِرٌ، لا ينفع في الدّنيا ولا في الآخرة

في التَّعبير بالمضارع ﴿يَعۡلَمُونَ﴾، إشارة إلى استمرار عِلْمِهم ببعض ظواهر أمور الدُّنيا دون دقائقها، وهوَ "ما يُشاهِدونَه مِنها، والتَّمَتُّعُ بِزَخارِفِها"[4]، وذهب أبو السّعود، إلى أنّ قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، مُناطٌ بمجمل "ما يُشاهدونَهُ من زخارِفها وملاذِّها، وسائرِ أحوالِها، الموافقةِ لشهواتِهم، الملائمةِ لأهوائهم، المستدعية لانهماكهم فيها، وعكوفِهم عليها، لا تمتّعهم بزخارِفها،

(1) النّسفيّ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 2/ 691.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغَيْب، حاشية على الكَشّاف: 12/ 213.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 468، والقونويّ، حاشية القونويّ على تفسير البيضاويّ: 15/ 103.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/ 276.

وتنعّمهم بملاذِّها، كما قيلَ، فإنَّهما ليسا ممّا علموه منها، بل من أفعالِهم المترتّبةِ على علومِهم"[1].

غرض التّنكير في قوله: ﴿ظَٰهِرًا﴾:

قُصور عِلْمِ المرءِ، مُفضٍ إلى الجهل والكفران

التّنكير في قوله: ﴿ظَٰهِرًا﴾، للتّحقير والتّهوين، أي يعلمون ظاهرًا حقيرًا خسيسًا[2]، كَما أفاد التّنكير أيضًا التّقليل، أي لا يعلمون إلّا ظاهرًا واحدًا من جملة ظواهر الدُّنيا وهو ما يُشاهدونه، ممّا يتعلَّق بملاذِّها، والتَّمَتُّع بزَخارفها، فهُم لا يُدْرِكونَ مِنَ الدُّنْيا ما يُؤَدّي إلى مَعْرِفَتِها من أحْوالِها، ولا يَتَفَكَّرونَ فيها، وإنَّما يعلمون شيئًا واحدًا ظاهرًا منها[3]، وفي التّنكير تقليل لمعلومهم، وتقليله يُقَرِّبه من النّفي حتّى يُطابق المُبدل منه ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]، فهُم لا يُخْطِرونَها بالبالِ، ولا يُدْرِكونَ مِنَ الدُّنْيا ما يُؤَدّي إلى مَعْرِفَتِها مِن أحْوالِها، ولا يَتَفَكَّرونَ فيها[5].

دلالة لفظ ﴿ظَٰهِرًا﴾ على قصور علم النّاس:

ما أوتي الإنسان من العلم إلّا قليلًا

وفي التّنكير أيضًا دَلالةٌ على قُصور عِلْم المرءِ؛ لقولِه تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فليس كُلُّ الظّاهرِ يَعْلَمه، وليس كُلُّ الباطن يُدْرِكُه، مِصْداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: 85]، فالإنسان عِلْمُه قاصرٌ في أمورِ الدُّنيا أيضًا؛ فلا يُمكِنُ له الإحاطةُ بعِلمِها[6]، والمعنى أنّهم لا يترقّى علمهم من المحسوسات الظّاهرة، والأوهام العابرة، وهُمْ عَنِ النّشأة الآخِرَةِ، المعدّة لكشف السُّدل والسّتائر، ولرفع الحجب الباطنة والظّاهرة، غافِلونَ غفلة

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 50.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 21/ 21.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 213.
(4) ابن المُنَيِّر، حاشيّة على تفسير الكشّاف: 3/ 468، والبَيْضاوي، أنوار التّنزيل: 4/ 20، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 350.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 15/ 104.
(6) ابن عثيمين، تفسير سورة الرّوم، ص: 38.

مؤبّدة تامّة؛ " لذلك لم يتدرّجوا من عالم الكون والفساد، ومضيق الإمكان، وما يترتّب عليه من اللّذّات الوهميّة البهيميّة، إلى عالم الغيب وفضاء وجوب الوجود، وما يترتّب عليه من الكشف والشّهود، وأنواع المعارف والحقائق الفائضة منه سبحانه، بمقتضى الجود"[1].

معنى ﴿مِّنَ﴾ في الآية:

ذَمُّ المتكالِبينَ على الدُّنيا، مع غَفلتِهم عن الآخِرةِ

﴿مِّنَ﴾ في قَوْلِه: ﴿مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ تَبْعيضيَّة، أيْ يَعْلَمونَ بَعضَ ظَواهِر ما في الدُّنْيا، أيْ: ولا يَعْلَمونَ دَقائِقَها وهي العُلومُ الحَقيقيَّةُ، وكُلُّها حاصِلَةٌ في الدُّنْيا، وبِهَذا الاعْتِبارِ كانَتِ الدُّنْيا مَزْرَعَةَ الآخِرَةِ[2]، ويجوز أن تكون ﴿مِّنَ﴾ للتَّبيين، إذ بَيَّنت ما يَعْلمه هؤلاء، وفي هذا تقرير لِجهالة الكُفّار وحُمْقهم، وتشبيهًا لَهُم بالحيوانات المقصور إدراكها على الدُّنيا ببعض ظواهرها[3]، ثمَّ لَمّا نفَى عنهم ﷻ اسمَ العِلمِ بمعناه الصَّحيحِ الكامِلِ، أثبَت لهم نوعًا مِن العِلمِ في غايةِ الحقارةِ بالنِّسبةِ إلى غيرِه، وعاب ذلك النَّوعَ المذكورَ مِن العِلمِ بعَيبينِ عَظيمَين:

أحدُهما: قِلَّتُه وضيقُ مجالِه؛ لأنَّه لا يُجاوِزُ ظاهِرًا مِن الحياةِ الدُّنيا، والعِلمُ المقصورُ على ظاهرٍ مِن الحياةِ الدُّنيا، في غايةِ الحقارةِ، وضيقِ المجالِ، بالنِّسبةِ إلى العِلمِ بخالقِ السَّمَواتِ والأرضِ ﷻ، والعِلمِ بأوامِرِه ونواهيه، وبما يُقَرِّبُ عَبْدَه منه، وما يُبعِدُه عنه، وما يُخَلِّدُ في النَّعيمِ الأبَديِّ، والعذابِ الأبديِّ، مِن أعمالِ الخَيرِ والشَّرِّ.

الثّاني: هو دناءةُ هَدَفِ ذلك العِلمِ، وعدَمُ نُبلِ غايتِه؛ لأنَّه لا يَتجاوَزُ الحياةَ الدُّنيا، وهي سريعةُ الانقِطاعِ والزَّوالِ[4].

(1) النخجواني، الفواتح الإلهيّة والمفاتح الغيبيّة: 2/ 116.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 50.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 15/ 103.
(4) الشّنقيطي، أضواء البيان: 6/ 166.

دلالة (أل) في لفظ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ للاستغراق، ووُصِفت الحياة بالدُّنيا، في قوله: ﴿مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾؛ تنبيهًا على دُنوِّها وحقارتها، وفيها أيضًا مزيد توبيخ لَهُم، وتجهيل لمعرفتهم ببعض ظواهر ما هو زائل ذاهب، وجَهْلهم بِعِلْم الآخرة الباقية، وعَدَم العمل لَها، وقد توجَّهَت قلوبُهم وأهواؤُهم وإراداتُهم إلى الدُّنيا وشَهَواتها وحُطامِها، فعَمِلَت لها وسَعَتْ، وأقبَلَتْ بها وأدبَرَتْ، وغَفَلَتْ عن الآخرة؛ فلا الجنَّةُ تَشتاقُ إليها، ولا النّارُ تخافُها وتخشاها، ولا المَقامُ بيْنَ يدَي اللهِ ولِقائِه يُرَوِّعُها ويُزعِجُها، وهذا عَلامةُ الشَّقاءِ، وعُنوانُ الغَفلةِ عن الآخرةِ[1].

جهالة مَن اقتصرت معرفتهم على الزّائل الآيل للفناء

نكتة وصف الحياة بصفة ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾:

قوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾، نجد في هذه الجملة تلويحًا بالذَّم، لأنَّهم يعلمونَ أمرًا زائلًا لا بقاءَ له، ولا عاقبةَ من الحياة الدُّنيا، والعلم بالحَياةِ الدُّنيا ليس مذمومًا على إطلاقه؛ لِأنَّها دار معاش، ولو كانت مُؤَقَّتة؛ والمُؤْمِنونَ كانوا أيضًا يَعْلَمونَ ظاهِرَ الحَياةِ الدُّنيا، وإنَّما المَذْمومُ اقتصار عِلْم الكُفّار على بَعْض ظاهِر أُمورِ الدُّنيا، دون العِلْم بِبَواطن الأُمور وحقيقتها؛ لذا كان التَّعبير بقوله: ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾، بِمنزلة احتراس مِن ذَمِّ العِلم بأمور المَعاش.

من اقتصرت معارفه على الدّنيا، زالت أمانيه مع زوالها

سِرُّ التَّعبير بالجملة الاسميّة في الآية:

عُبِّر بالجملة الاسميَّة ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾؛ لِلدَّلالَةِ عَلى ثبات غَفْلَتِهِم واستقرارها ودَوامِها، وأُكِّد دوام تلك الغفلة وثبوتها باسم الفاعل ﴿غَٰفِلُونَ﴾، وفي هذه الجملة تصريح بِذَمِّهم.

ثبات الغفلة واستمرارها، مناسب لاسميّة الجملة

دلالة الاقتصار على جهلهم بالآخرة:

واقتصَرَ في تَجهيلِهم بعالَمِ الغَيبِ بقوله: ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ

(1) السَّعْدي، تيسير الكريم المَنّان، ص: 636.

مَـنْ جَـهِـل الغيب، غَفَل عن الاستعداد للآخرة

﴿غَٰفِلُونَ﴾ على تَجْهيلِهم بوُجودِ الحياةِ الآخِرةِ اقتِصارًا بَديعًا، حصَلَ به التَّخلُّصُ مِن غرَضِ الوعْدِ بنصْرِ الرّوم، إلى غرَضٍ أهَمَّ، وهو إثباتُ البعثِ، مع أنَّه يَستلزِمُ إثباتَ عالَمِ الغَيبِ، ويكونُ مثالًا لِجَهْلِهم بعالَمِ الغيبِ، وذمًّا لجَهْلِهم به بأنَّه أوقَعَهم في ورطةِ إهمالِ رَجاءِ الآخرةِ، وإهمالِ الاستعدادِ لِما يَقتَضيهِ ذلك الرَّجاءُ[1].

بلاغة التَّعطُّف في قوله: ﴿وَهُمْ﴾ ... ﴿هُمْ﴾:

استغراقهم في الاشتغال بالدّنيا، مَنَعَهم من العِلْم بالآخرة

في قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، ما يُسَمَّى بالتَّعطّف، وهو إعادة اللّفظة بعينها في الجُمْلة من الكلام، ويسمّيه بعضهم فنَّ المشاركة، وهو في الآية تكرار الضَّمير (هُمْ) في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ﴾، ثمّ قوله: ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، ومناط بلاغة التَّعطُّف هنا، المبالغة في تأكيد غفلتهم عن الآخرة[2]، والَّذين يُقْبِلون على العلوم الأخرويّة، وما يُقَرِّبهم من الله تعالى، وإنْ كان ليس عندَهم إلّا علومٌ قليلةٌ من الدُّنيا، أكملُ من الَّذين يُقبلون على الدُّنيا، ويَغفُلونَ عن الآخِرةِ بالكليّة.

موقع الضّمير المنفصل ﴿هُمْ﴾ في السّياق:

الضَّمير المُنْفَصِل ذو أثر في البيان مفيد

﴿هُمْ﴾ الثّانيةُ في قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، يجوزُ أنْ يكونَ مُبتدأً، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبَرَه، والجُملةُ خبرَ (هم) الأولى، وأنْ يكونَ تَكريرًا للأولى، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبرَ الأولى، وهو على الوَجهينِ مُنادٍ على تمَكُّنِ غَفْلتِهم عن الآخِرةِ المُحقِّقةِ لمُقْتضَى الجُملةِ المُتقدِّمة؛ تَقريرًا لِجَهالتِهم، وتَشبيهًا لهم بالبهائمِ المقصورِ إدراكاتُها من الدُّنيا على ظواهِرِها الخَسيسةِ، دونَ أحوالِها الَّتي هي مَبادئُ العلْمِ بأمورِ الآخِرةِ، وإشعارًا بأنَّ العِلْمَ المذكورَ وعدَمَ العلمِ رأْسًا سيّانِ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 50.

(2) الدَّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 473.

(3) الكشّاف: 3/ 468، والطِّيبي، فتوح الغيب: 12/ - 213 - 212، وأبو حَيّان، البحر المحيط: 7/ 159، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 350، وشيخ زاده، حاشية على تفسير البيضاوي: 6/ 529، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 51.

نكتة ذكر لفظ ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾، مع ﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

ذكر اللّفظ مُؤْذِنٌ بورود معنى يختلف عن المعنى الوارد عند حذفه

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، فيه وصف الحياة بالدّنيا، فقال: ﴿مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وذكر الصّفة ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ دون الموصوف وهو (الحياة)، في قوله ﴿عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾، حيث الكلام عن منافع الحياة الدّنيا، الّتي يعيشونها، ويمارسون فيها أعمالهم وحركة وجودهم، وابن عَبّاسٍ والكلبيّ يقولون: يعلمون معايشهم، وتجاراتهم، وحِرَفهم، وجميع الأسباب والمكاسب والحيَل الّتي بها تقوم أمور دنياهم[1]، فناسب ذكر الحياة مع الدّنيا، وناسب تركه مع الآخرة؛ لأنّ حياة الآخرة غيب لم يُدْرَك بحاسّة، ولم يتحقّق بعدُ، فلم تَجْرِ به حياة، ولم تُمارَسْ به حركة، وإنّما يؤمن به المؤمنون، على أنّه غيب منتَظَر بعد قيام السّاعة، وانتهاء الدّنيا، ناهيك عن كون الكافرين، لا يؤمنون أصلا بوجود الحياة في الآخرة، وقد عبّروا عن ذلك، بقولهم في مواطن أخرى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: 29]، وقولهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]، فلا غَرْوَ أن يَرِد لفظ (الحياة) موصوفًا بصفة (الدّنيا)، وأن يرد الوصف (الآخرة)، دون الموصوف وهو الحياة.

سِرُّ تقديم الجارّ والمجرور على الخبر:

التّعجيل غايته تَجْهليهم وتوبيخهم ومعايرتهم

قُدِّم الجارّ والمجرور ﴿عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ على الخبر، في قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾، حيث إنَّ ظاهر ترتيب الجملة، أن يقال: (وهم غافلون عن الآخرة)، والسِّرُّ في هذا التّقديم التّعجيل، بِسبب تَجْهليهم وتوبيخهم ومعايرتهم.

نُكتة إعادة الضّمير ﴿هُمْ﴾ في السّياق:

النُّكتة في إعادة الضّمير المنفصل ﴿هُمْ﴾ في قوله: ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾

(1) الماتريديّ، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السّنة): 8/ 252.

التَّأكيد؛ دَفْعًا لِتَوَهُّم عَدَم الشُّمول، وعليه يكون مجموع قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ جملة واحدة.

الكُفار هُمْ مَوْطِن الغفلة عن الآخرة، والمنكرون لوقوعها

وقد دَلَّ إعادة الضّمير المنفصل أيضًا، على أنَّهم مَوْطِن الغفلةعن الآخرة، ومَعْدنها ومَقَرّها، وأنَّها منهم تَنْبُع، وإليهم تُنْسَب وتَرْجِع، وأنَّهم هُم الّذين استَقَرَّ، وثَبُتَ فيهم الغَفْلَة[1].

بلاغة القَصْرفي قوله: ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾:

تقوية الحُكْم عليهم بالغفلة وتأكيده، من البيان المفيد

القَصْرُ في قوله: ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ من باب قَصْر الصِّفة على الموصوف، قَصْرًا ادِّعائيًّا بِتَعريف الطَّرَفين: المسند والمسند إليه، المبتدأ والخبر، حيث تكرَّر المسند إليه الضمير المنفصل ﴿هُمْ﴾، وعُبِّر باسميَّة الجملة؛ لإفادة الحَصْر الادِّعائي؛ للمبالغة في وصفهم بالغفلة، واختصاصهم بها دون مَنْ سواهم، أيْ هُم الغافِلونَ عَنِ الآخِرَةِ، دونَ المُؤْمِنينَ، وأنَّه ليس للغفلة مَحَلٌّ غيرهم، هذا على اعتبار عَدَم وجود تَكرار، وأنَّ الضَّمير المنفصل ﴿هُمْ﴾ الثّاني مبتدأ، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر الضَّمير المنفصل الأوَّل في قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ﴾، أمّا لو اعتُبِرَ الضّمير الثّاني ﴿هُمْ﴾ تكريرًا للأوَّل، فتَكَرُّر الإسناد أفاد تقوية الحُكْم عليهم بالغفلة وتأكيده[2].

بلاغة الكناية بالتَّعبير بالغفْلةِ، في السّياق:

نُهوضُ دَلائِلِ وُجودِ الحَياةِ الآخِرَةِ، لِمَن يتأمّلها بعقله

عُبِّرَ عَنْ جَهْلِهِم الآخِرَةَ بِالغَفْلَةِ، في قوله: ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ كِنايَةً عَنْ نُهوضِ دَلائِلِ وُجودِ الحَياةِ الآخِرَةِ، لَوْ نَظَروا في الدَّلائِلِ المُقْتَضيَةِ وُجودَ حَياةٍ آخِرَةٍ، فكانَ جَهْلُهم بِذَلِكَ شَبيهًا بِالغَفْلَةِ؛ لِأَنَّهُ بِحَيْثُ يَنْكَشِفُ لَوِ اهْتَمّوا بِالنَّظَرِ، فاسْتُعيرَ لَهُ ﴿غَٰفِلُونَ﴾ اسْتِعارَةً تَبَعِيَّةً[3]، وقد اقتضى التَّعبير باسميَّة الجملة، وتعريف الخبر،

(1) الطّيبي، فتوح الغَيْب، حاشية على تفسير الكشّاف: 12/ 213 - 214، والجَمَل، الفتوحات الإلهيَّة، ص: 386، والشَّعراويّ، تفسير الشعراوي: 18/ 11314 - 315.

(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 15/ 103.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 50.

ووَجْه كَوْن غَفْلتهم مُحَقِّقة لمضمون جملة ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، ومُؤَكِّدة لَها لكونها بَدَلًا من جملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، بَدَل كُلٍّ مِن كُلٍّ، أفادت واقتضت نَفْي العِلْم عنهم، والحُكْم عليهم بالغفلة عن الآخرة، يحقّق ذلك المقتضى[1].

بلاغة الطِّباق بَيْن لفظي ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾:

أشار الطِّباق بَيْن قوله: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ و﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾، إلى الجمع بين متضادين مع مراعاة التقابل، مع البَوْن الشّاسِع بَيْن عَمَلٍ، وعِلْم ظّاهِر نَفعهما، لكنَّه مُؤَقَّت، وبَيْن عِلْم وعَمَلٍ يوصِّلان إلى سعادة أبديَّة، جَهَلَ بِها هؤلاء، وأعرضوا عنها، وفي هذا تسفيه لَهَم وتوبيخ؛ لِغَفْلتهم عَمّا فيه سعادتهم، ونَجاتهم.

شتّان بين العِلْم بِما هو زائل، والعِلْم بما هو باقٍ

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العِلْم والمعرفة:

يقال: فلان يَعرف اللّهَ، ولا يقال: يَعْلم اللّه متعدّيًا إلى مفعول واحد، لمّا كان معرفة البشر للّه، هي بتدبّر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال: اللّه يعلم كذا، ولا يقال: يعرف كذا؛ لأنَّ المَعْرفة تستعمل في العلم القاصر، المتوصَّل إليه بتفكُّر وتدبّر[2]، ومن شواهده في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: 83].

المَعْرِفَةُ إدراك الشّيء بتفكُّر وتدبّر لأثره، وهي أخصُّ من العِلْم

وأمّا العِلْم: فأصْل المادَّة يَدُلُّ على أثَرٍ بِالشَّيْءِ، يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ، مِنْ ذَلِكَ الْعَلامَةُ، وهيَ مَعْروفَةٌ، والْعِلْمُ: نَقيضُ الْجَهْلِ[3]، ولَفْظُ العِلْم أكثر إطلاقًا في القرآن الكريم، ومن شواهده قوله تعالى:

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 15/ 103.
(2) المفردات الرّاغب: (عرف).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علم).

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمّد: 19]، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ [آل عمران: 18]، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الأنعام: 114]، وقوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: 114].

والفَرْق بَيْنَ العِلْم والمَعْرفة: أنَّ المعرفَة إدْراك الجزئيّات، والعلم إدْراك الكليّات، ولِهَذا لا يجوز أن يُقال: الله عارِف كَما يُقال: عالم[1].

الغفلة والنِّسيان والسَّهْو:

الغَفْلَةُ سَهْوٌ مِن قِلَّة اليقظة، والنِّسيان ذهول، والسَّهْوُ خطأ عن غفلة

الغفلة: يدلُّ أصْل المادَّة، عَلَى تَرْك الشَّيْء سَهْوًا، ورُبَّما كانَ عَنْ عَمْدٍ، مِنْ ذَلِكَ: غَفَلْتُ عَن الشَّيْء غَفْلَةً وغُفولًا، وذَلك إذا تَرَكْتَه ساهيًا، وأغْفَلْتُه، إذا تَرَكْتَه عَلَى ذُكْرٍ مِنْكَ لَه[2]، ومِن شواهدها قوله تعالى: ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء: 1]، وقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ [القصص: 15]، وقوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [ق: 22].

والنِّسيان: تَرْكُ الإنسان ضَبْطَ ما اسْتودِعَ، إمّا لضَعْف قَلْبه، وإمّا عن غَفْلةٍ، وإمّا عن قَصْد حتّى يرتفع عن القَلْب ذِكْرُه[3]، ومِنْ شواهده، قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة: 286]، وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾ [التّوبة: 67].

وأمّا السَّهْوُ فهو: نِسْيانُ الشَّيْءِ، والْغَفْلَة عَنْه وذَهابُ الْقَلْب عَنْه إلَى غَيْره[4]، ومِن شواهده، قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾ [الماعون: 5].

(1) العينيّ، عُمدة القاري: 3/ 286.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (غفل).
(3) الفيروزابادي، بصائر ذوي التَّمييز: (نسى).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سها).

والفرق بين النِّسيان والغَفْلَة: أنَّ الغفلة عامَّة تشمل السَّهْو والنِّسيان؛ وهي تَرْكٌ باختيار الغافل، والنِّسيان تَرْكٌ بغير اختياره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: 205]، ولم يقل: ولا تكن من النّاسين، فإنَّ النِّسيان لا يدخل تحت التَّكليف فلا يُنْهى عنه[1]، والنِّسيان إنّما يكون عَمّا كان، والسَّهْو عَمّا لَمْ يَكُن، تقول: نَسيتُ ما عرفْتُه، ولا تقول: سَهَوْتُ عَمّا عرفته، ويُقال: سَهَوْتُ عَن السُّجود في الصَّلاة، فتجعل السَّهْو بَدَلًا عن السُّجود الّذي لم يكن، وأيضًا فالنِّسيان يكون عن ذِكْرٍ، والسَّهْو يكون عَنْ ذِكْر وعَن غير ذِكْر؛ لأنّه خفاء المعنى بما يمتنع إدراكه[2].

(1) ابن قَيِّم الجَوزية، مَدارج السّالكين: 2/ 406.
(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويّة، ص: 90.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»